المحاضرة الختامية

أزمـــة الصهيـونيـــة

أ . د . عبد الوهاب المسيري

« أزمة الصهيونية » اصطلاح نستخدمه للإشارة إلى المشاكل التى تواجهها الصهيونية كعقيدة تستند إليها الدولة الصهيونية، وتدَّعى لنفسها الشرعية على أساسها، وتؤسس علاقتها بيهود العالم والعالم الغربى من خلالها.

ومن المعروف أن المشروع الصهيونى قد حقق نجاحات كثيرة لا شك فيها، مثل احتلال الأرض الفلسطينية بالقوة، وطرد أعداد كبيرة من الفلسطينيين من ديارهم، ووضع الباقين منهم تحت قبضته الإدارية والعسكرية الحديدية، كما نجح المشروع الصهيونى فى نقل كتلة بشرية ضخمة استوطنت فى هذه البقعة، وأسست بنية تحتية زراعية صناعية عسكرية، وانتصرت فى عدة حروب ضد جيوش الدول العربية. ويحصل المشروع الصهيونى على الدعم غير المشروط من التشكيل الحضارى والسياسى الغربى، وبخاصة من الولايات المتحدة، التى تقف فى الوقت الحاضر على رأس هذا التشكيل.

ولكن رغم كل هذه الإنجازات المهمة التى لا يمكن التهوين من شأنها، يردد أصحاب المشروع الصهيونى أنفسهم أن مشروعهم يواجه أزمة حقيقية، حتى أن عبارة « أزمة الصهيونية » أصبحت مصطلحًا أساسيًا فى الخطاب السياسى، ولا تخلو صحيفة إسرائيلية من عبارات مثل « صهيونية بدون روح صهيونية »

و« انحسار الصهيونية » .

وتُناقش الأزمة الصهيونية بشكل شبه مستمر في المؤتمرات الصهيونية الواحد تلو الآخر . ونحن نذهب إلى أن أسباب هذه الأزمة بنيوية ، أي لصيقة ببنية الاستيطان الصهيوني نفسه . ولذا بدأت الأزمة مع بداية هذا الاستيطان عام ١٨٨٢، ولم يحلها إنشاء الدولة ، بل زادها تفاقمًا وإن ظلت في حالة كمون إلى أن تبدَّت بشكل واضح عام ١٩٦٧، وزادت حدتها مع حرب الاستنزاف وحرب ١٩٧٣، ووصلت إلى لحظة حرجة مع هزيمة الدولة الصهيونية في لبنان ، ثم مع اندلاع الانتفاضة .

وعناصر الأزمة كثيرة من أهمها : قضية الهوية اليهودية (من هو اليهودي ؟) وتطبيع الشخصية اليهودية ، ومشكلة اليهود الشرقيين ، وهوية الدولة اليهودية ، والأزمة السكانية والاستيطانية ، وتحجر الثقافة السياسية الصهيونية ، وتصاعُد معدلات العولمة والأمركة في المستوطن الصهيوني .

وعناصر الأزمة الصهيونية متشابكة .. (كما سيتضح لنا أثناء التعرض لجوانبها كل على حدة) ، فمشكلة الهوية والصراع بين الدينيين والعلمانيين مرتبطة بالأزمة السكانية (الديموغرافية) ، وكلاهما مرتبط بأزمة الهجرة والاستيطان وبقضية تطبيع الشخصية اليهودية ، كما أن أزمة صهاينة الداخل مرتبطة من بعض النواحي بأزمة صهاينة (ويهود) الخارج ، وتتبلور العناصر في قضية اليهود الشرقيين (من السفارد واليهود العرب ويهود البلاد الإسلامية) ، ورغم علمنا بهذا التشابك ، إلا أننا فصلنا العناصر بعضها عن بعض كضرورة تحليلية .

وكل القضايا السابقة تشكل تحديًا للصهيونية ، وتقوض شرعيتها أمام يهود

العالم ، ويهود المستوطن الصهيوني ، والدول الغربية الراعية للمشروع الصهيوني ، (وهذه هي الشرعية الصهيونية مقابل شرعية الوجود ، أي شرعية النظام الاستيطاني أمام السكان الأصليين ، أي الفلسطينيين) .

وقد أدَّت الأزمة إلى انفراط العقد الاجتماعي الصهيوني أو على الأقل تآكله ، فقد كان هناك اتفاق على بعض المقولات الأساسية ، مثل أن اليهود شعب واحد (يضم الدينيين واللادينيين والإشكناز والسفارد وغيرهم) ، وهو شعب يطمح للعود إلى أرضه للاستيطان فيها ، وأن الصهيونية ستنهي حالة المنفى وستقوم بتطبيع اليهود ، لقد فشلت الصهيونية في كل هذا ، فاليهودى (هذا المكون الأساسي لهذا الشعب اليهودي) لم يعرَّف بطريقة ترضي كل الأطراف ، وهو شعب يرفض العودة لوطنه القومي ، الأمر الذي يخلق أزمة سكانية استيطانية ، ولهذا لم يَعُد هناك اتفاق على المكونات الأساسية للصهيونية وأهدافها المبدئية ، فالرؤية ليس لها ما يساندها في الواقع ، والواقع صلب لا يود أن يخضع للرؤية .

وقد ترجم هذا التآكل نفسه إلى عدم اكتراث بالمشروع الصهيوني الذي ترجم نفسه بدوره إلى عدم الإيمان بالقيم الصهيونية « الريادية » المبنية على التقشف وتأجيل الإشباع ، وبدلًا من ذلك ، ظهر السعار الاستهلاكي والنزوع نحو الأمركة والعولمة والخصخصة ، وهي حالة لا تصيب الصهيانة وحدهم ، وإنما تصيب أيَّ مجتمع يفتقر إلى الاتجاه ولا يحل مشكلة المعنى ، ولكن رغم كل هذا التآكل يظل هناك إجماع صهيوني لم يتآكل ، وهو رفض الاعتراف بالفلسطينيين وحقهم في هذه الأرض التي تم اغتصابها .

ولكن قبل أن نعرض لعناصر الأزمة الصهيونية المختلفة يجب أن نشير إلى أن

بوسع المجتمعات الإنسانية أن تعيش في حالة أزمة مستمرة لعشرات السنين ؛ دون أن « تنهار من الداخل » ، إن لم تُوجَّه لها ضربة من الخارج ، والتجمع الصهيوني ليس استثناءً من هذه القاعدة ، وخصوصًا أن كميات المساعدات التي تصب فيه من الولايات المتحدة تزيد عن ثمانية بلايين دولار لمجموع عدد السكان ، الذي يبلغ عددهم حوالي أربعة ملايين ، الأمر الذي يجعل التجمع الإسرائيلي (الاستيطاني الوظيفي) من أكثر المجتمعات تلقِّيًا للمساعدات الخارجية بالنسبة لعدد السكان ، فالتجمع الصهيوني لا يحوي مكونات بقائه واستمراره داخله ، فهو يستمدها من دولة عظمى تكفله وترعاه .

ومن الواضح أن إسرائيل مدركة تمامًا لأبعاد أزمتها ، وأنه لا حل لها داخل إطار ما هو قائم ، وقد أدَّى هذا إلى استقطاب شديد ، فطرح حلان : الأول : الصهيونية الحلولية العضوية ، ويتسم بالصلابة ، والثاني : صهيونية : عصر ما بعد الحداثة ، ويتسم بالسيولة .

الأزمة الصهيونية وبنية الأيديولوجية الصهيونية :

تعود الأزمة الصهيونية إلى عدة أسباب بنيوية تنصرف إلى صميم المشروع الصهيوني الاستيطاني الإحلالي ، ولكن ثمة سمات تتسم بها بنية الأيديولوجية الصهيونية نفسها ساعدت على تفاقم الأزمة نذكر منها ما يلي :

١ – ثمة مسافة بين أقوال أي إنسان وأفعاله ، فالقول الإنساني بطبيعته لا يتفق تمامًا ولا يتطابق مع الفعل الإنساني ، ولكن في حالة القول الصهيوني نجد أن المسافة التي تفصله عن الواقع شاسعة حتى يصبح القول كله (أحيانًا) ديباجة لا علاقة لها بأي واقع ، فهي تهدف أولًا وأخيرًا إلى التبرير والتسويغ ، ويعود هذا إلى أن

الصهيونية لم تنبع من واقع أعضاء الجماعات اليهودية في العالم ، وإنما هي صيغة أساسية ؛ توصلت لها الحضارة الغربية في عصر نهضتها وبداية تجربتها الاستعمارية الاستيطانية للتعامل مع الجماعات اليهودية ففرضتها عليها ، ثم تبنتها هذه الجماعات ، أي أن حالة التبعية أو الذيلية الصهيونية للعالم الغربي ليست مسألة تنصرف إلى أمور السياسة والاقتصاد ، وإنما إلى بنية الأيديولوجية نفسها وأصولها الحضارية والفكرية .

٢- قامت الحضارة الغربية بنقل بعض أعضاء هذه الجماعات ككتلة بشرية مستقلة تُوطَّن في وسط العالم العربي عن طريق القوة العسكرية ، فهي صيغة لا علاقة لها بالواقع العربي الذي زُرعت فيه .

٣- لكل هذا نجد أن الفكر الصهيوني فكر اختزالي يتجاهل معطيات الواقع ، سواء أكان الأمر يتعلق بواقع أعضاء الجماعات اليهودية في العالم ، أم واقع الفلسطينيين العرب ، وتتضح هذه الاختزالية في إنكار التاريخ ، والتفكير في وضع نهاية له : تواريخ أعضاء الجماعات اليهودية والتاريخ العربى في فلسطين ، كما يتضح في إنكار الجغرافيا ، ففلسطين تصبح إسرائيل ، وهي بلد لا حدود لها ، إذ إن حدودها توجد داخل مفهوم إرتس يسرائيل الديني .

٤- لكل هذا نجد أن العقيدة الصهيونية أيديولوجية فاشية ، نسق عضوي مغلق يخلع القداسة على الأرض (أرض الميعاد) ، والشعب (الشعب المختار) ، وينكر الآخر (الصراع مع الأغيار والعقلية الجيتوية) ، ومثل هذه الأيديولوجيات تُكْسب حاملها قوة ومناعة وصلابة ، ولكنها في الوقت نفسه تتسم بالجمود والانغلاق ، ومن ثم فكثير من التناقضات الكامنة داخل الأيديولوجية ، أو في واقعها حينما

تتبدى في الواقع، تظهر بشكل عنيف إن لم يكن فجائيًا.

وقد حدثت داخل الدولة الصهيونية وخارجها تطورات عميقة، من أهمها: ظهور النظام العالمي الجديد، وتصاعد معدلات العلمنة بين يهود العالم، وتبني المعسكر العربي خطابًا برجماتيًا، بل انكماش المطالب العربية، ويستمر التجمع الصهيوني نخبته الحاكمة في استخدام نفس الخطاب الصهيوني القديم ويدركون العالم من خلال المقولات القديمة للثقافة السياسية الصهيونية، وهو وضع يهدد بتصعيد الأزمة.

٥- تستند الأيديولوجية الصهيونية إلى فكرة الهوية، وإلى تعريف عضوي ضيق لهما، ولذا فإن أية تحديات لهذه الفكرة تسبب شرخًا عميقًا في المجتمع.

٦- ثمة تناقضات عديدة داخل القول الصهيوني نفسه، فالتناقض ليس بين القول والفعل وحسب، وإنما بين قول صهيوني وآخر، فدعاة القول الصهيوني لم يتفقوا فيما بينهم على الحد الأدنى فيما يتصل بكثير من القضايا النظرية الأساسية (حدود الدولة - الهوية اليهودية - موقفهم من يهود العالم)، وإنما اتفقوا على الحد الأدنى من الفعل وحسب (نقل بعض يهود العالم إلى فلسطين، وتوظيفهم داخل إطار الدولة الوظيفية).

كل هذه السمات البنيوية في الأيديولوجية ساهمت في تفاقم الأزمة، إلا أن السبب الأساسي لها يظل أنه حين وضعت هذه العقيدة الصهيونية موضع التنفيذ أفرزت الكثير من المشاكل، بعضها خاص بالمستوطن الصهيوني ويهود العالم، والبعض الآخر خاص بالفلسطينيين (فيما نسميه «المسألة الفلسطينية»)، وحسب تصورنا لا يوجد حل داخل إطار الأمر الواقع الصهيوني لأيٍّ من هذه المشاكل.

وقد تفرز الصهيونية حلولاً يمينية صلبة (الصهيونية الحلولية العضوية) ، أو يسارية سائلة (صهيونية عصر ما بعد الحداثة) ، ولكنها حلول لا تتوجّه إلى جذور المشكلة .

وأزمة الصهيونية متشابكة تتداخل فيها أسباب مع الأخرى ، وكذلك الأسباب والنتائج والأيديولوجية والواقع ، ومع هذا لضروات تحليلية سنقسم أوجه هذه الأزمة (في إطار الشرعية الصهيونية) إلى ثلاثة أقسام ، نتناول كل قسم في مدخل مستقل أو في :

١- أزمة الهوية .

٢- الأزمة السكانية والاستيطانية (وأزمة الخدمة العسكرية) .

٣- تفكُّك الأيديولوجية الصهيونية من خلال تصاعد النزعات الاستهلاكية (والعلمنة والأمركة والعولمة والخصخصة) .

أولاً : أزمة الهوية اليهودية : Crisis of Jewish Identity

١- من هو اليهودي ؟

لعل أولى الخطوات التي تتخذها أية حركة بعث قومي ، أو حركة تحرُّر وطني هي تحديد الـ « نحن » ، ومن « هم » ، ومن يقع داخل نطاق الهوية ومن يقع خارجها ، وهذه الخطوة ليست أكاديمية أو حماسية أو مجرد ديباجة تبريرية ، وإنما هي من صميم الفعل السياسي ، إذ إنها خطوة ضرورية لصياغة المشروع ، بجميع جوانبه الحضارية والسياسية والاقتصادية ، وللتعريف بمن سيتم تجنيده ومن سيتم استبعاده ، وتحديد الصديق والعدو ، وحدود الدولة ، وهويتها ، وسكانها ، ومن

يحق له الهجرة إليها وهكذا .

وقد طرحت الصهيونية نفسها باعتبارها حركة تحرير الشعب اليهودي ومرادفة للقومية اليهودية ، وبدأت من القول بأن اليهود شعب واحد ، يندرج داخله كل أعضاء الجماعات اليهودية ، وأن ثمة تاريخًا يهوديًا واحدًا يدورون جميعهم في إطاره ، وانطلاقًا من هذا تقرَّر أن تؤسَّس الدولة اليهودية .

وقد نشب الصراع حول هذه الهوية اليهودية القومية الوهمية ، منذ البداية بين دعاة الإثنية الدينية (الصهيونية الدينية) ، ودعاة الإثنية العلمانية (الصهيونية الثقافية) ، وكان مركزُ الصراع مصدرَ يهودية اليهودي (الخالص المقدَّس) : هل هو التطور التاريخي والتراث اليهودي والانتماء العرقي ، أم الاختيار الإلهي والتاريخ اليهودي المقدس ؟ كما نشب صراع بين يهود الشرق والغرب وطرح سؤال : هل اليهودي هو اليهودي الإشكنازي الأبيض وحده ؟ أم أن مقولة : اليهودي تشمل يهود العالم كافة متضمنة بذلك السفارد والفلاشاه ؟ وأرجئ حسم الخلاف ، واتفق الجميع على الإشارة مؤقتًا لكل الجماعات اليهودية بكل تنوعها الحضاري ، وانعدام تجانسها العرقي على أنهم « اليهود » أو « الشعب اليهودي » بشكل عام مطلق مع التزام الصمت تجاه رقعة الخلاف ، وقد ظلت حالة اللاحرب واللاسلم الهلامية سائدة حتى إقامة الدولة ، حين أُصدر قانون العودة الذي يعطي لأيِّ يهودي الحق في الاستيطان في فلسطين ، استنادًا إلى « يهوديته » التي لم يتم تعريفها ! وبذاتم وضع قضية الهوية (بل قضايا أخرى مثل « الشخصية اليهودية » ، و« وحدة الشعب اليهودي ») على المحك .

وقد يقول قائل : إن هذه الإشكالية هي من « مخلفات الماضي » ، وأنها من

الأمور الشكلية غير العملية التي لا تمس الجوهر ، ولن تؤثر في سلوك المستوطن الصهيونى من قريب أو بعيد . ولكن مثل هذا القول سيكون من قبيل تطبيع النسق السياسي الصهيوني ، أي النظر إليه كما لو كان نسقًا سياسيًا طبيعيًا ، ليس كيانًا استيطانيًا إحلاليًا ، له ظروفه الخاصة التي تحدد طبيعته الخاصة . فتعريف اليهودي مسألة أساسية للعقد الاجتماعي الصهيوني للأسباب التالية :

أ- إذا كان تعريف المسيحي في الولايات المتحدة مسألة شكلية ، فإن هذا يعود إلى أن حكومة الولايات المتحدة لا تبحث عن شرعية مسيحية . ذلك أن مصادر شرعيتها تقع خارج نطاق الديانة المسيحية ، بل ربما خارج التراث المسيحي ككل . أما الدولة الصهيونية فهي تدَّعي أنها يهودية وأنها تجسد قيمًا (إثنية دينية أو علمانية) يهودية ، وأنها استمرار للدولة اليهودية القديمة (ولذا يطلق الصهاينة على إسرائيل اصطلاح « الهيكل الثالث ») . وانطلاقًا من هذا ، تطلب الصهيونية من اليهود الالتفاف حولها ودعمها ، وباسم هذه الهوية اليهودية المزعومة تقوم أيضًا بضم الأراضي ، لكن الفشل في تعريف اليهودي يضعف مقدراتها التعبوية ، ويضرب أسطورة الشرعية في الصميم .

ب- تدَّعي الدولة الصهيونية أنها دولة كل اليهود في أنحاء العالم . ومن المعروف أن المؤسسة الدينية في إسرائيل تصر على أن التهويد يجب أن يتم على يد حاخام أرثوذكسي ، وهذا يعني في واقع الأمر استبعاد أكثر من ٨٠٪ من يهود العالم ؛ الذين يعرّفون اليهودي على أسس لا دينية ؛ أو لا يقبلون اليهودية الأرثوذكسية . فأغلبية يهود الاتحاد السوفيتي قد تحولوا إلى يهود إثنيين ، أو يهود غير يهود ، والمهاجرون منهم حينما يصلون إلى إسرائيل يواجهون الكثير من المتاعب

بسبب إصرار المؤسسة الأرثوذكسية على تعريفها ، كما أن كثيرًا منهم طرف فى زيجات مُختلطة (أي من غير اليهود) ، وبالتالي لا تعترف المؤسسة الأرثوذكسية بأولادهم يهودًا . أما يهود الولايات المتحدة ، فإن أعدادًا كبيرة منهم من الإصلاحيين والمحافظين الذين لا يعترف الأرثوذكس بيهوديتهم .

ج- في أيامها الأولى ، عرَّفت الصهيونيةُ اليهوديَّ على أنه اليهودي الأبيض (أي الإشكناز) . وهي في هذا كانت متسقة تمامًا مع نفسها ، فقد كانت تقدِّم نفسها على أنها تجربة تتم داخل إطار التشكيل الاستعماري الغربي . ولكن نظرًا لملابسات الاستيطان نفسها ، ونظرًا لطبيعة التكوين الإثني للمهاجرين ، تم إخفاء هذا التعريف ، الذي يعادل بين اليهودي والإشكنازي ، عن الأنظار . ولكن إخفاءه عن الأنظار (أي اللجوء إلى الحل المراوغ) لا يحل المشكلة إذ إن القضية تثار بدرجات متفاوتة في الحدة . فالرؤية الكامنة التي توجه الدولة الصهيونية لا تزال أولًا وأخيرًا رؤية إشكنازية ، تحاول القضاء على الأشكال الحضارية الشرقية ، التي أحضرها اليهود الشرقيون معهم (من السفارد واليهود ، العرب ويهود البلاد الإسلامية) . وقد أدَّى وصول الفلاشاه إلى طرح القضية مرة أخرى ، إذ لم تعترف دار الحاخامية بيهوديتهم ، وطلبت منهم أن يتهودوا ، كما أن لونهم الأسود قد أثار العنصرية البيضاء القديمة بين الإشكناز .

د- ومما يزيد مسألة الهوية تعقيدًا ، ظهور هوية إسرائيلية جديدة بين جيل الصابرا من الإشكناز تتسم بسمات عديدة ، من بينها احتقار عميق ليهود العالم (وعقلية المنفى) ، وعدم الاكتراث بالقيم التي يُقال لها : « يهودية » في القول الصهيوني . ومن هنا ، كان وصف عالم الاجتماع الفرنسي جورج فريدمان

للصابرا بأنهم « أغيار يتحدثون العبرية » ، ويجد البعض صعوبة بالغة في تصنيف هوية هؤلاء على أنها « يهودية » ، هذا وتشهد الدولة الصهيونية تصاعدًا حادًّا في مستويات التهويد والعلمنة ، الأمر الذي يعمق من حدة التناقضات .

كل هذه العناصر والتوترات والتناقضات ، تجعل من العسير على اليهود أنفسهم تصديق مقولة الشعب اليهودي ، الذي يتجاوز الأزمنة والأمكنة ، ويتسم بجوهر عضوي يهودي أزلي ، تلك المقولة التي تنطلق منها الأيديولوجيا الصهيونية . فالفعل أثبت أنه لا يوجد جوهر واحد أو وحدة عضوية ، وإنما سمات عديدة متنوعة بتنوع التشكيلات الحضارية والتاريخية التي عاش فيها اليهود .

إن قضية تعريف اليهودي ، إذن ، ليست قضية دينية أو سياسية ، وإنما هي قضية مصيرية تنصرف إلى رؤية العالم والذات ، الأساس الذي يستند إليه تضامن المجتمع ومصدر الشرعية فيه .

٢- اليهود الشرقيون :

أسس الإشكناز الجيب الصهيوني من خلال خلايا زراعية عسكرية متناثرة على أرض فلسطين ، ثم قامت بالاستيلاء عليها وطرد سكانها حينما سنحت الفرصة وأعلنت قيام الدولة الصهيونية ، ولكن الدولة شيء والمجتمع شيء آخر . وحتى يتم تأسيس مجتمع متكامل ، كان لا بد أن يضم مادة بشرية جديدة لشغل قاعدة الهرم الإنتاجي ، ليصبحوا عمالًا وفلاحين يقومون بالأعمال الإنتاجية - ومن هنا كان تهجير اليهود العرب بالوعد أحيانًا (اليمن) ، وبالوعيد أحيانًا أخرى (العراق) . وقد نجح الصهاينة في إنجاز هذا الجزء من مخططهم - إلى حد بعيد - بسبب عمالة بعض الحكومات العربية ، وجهل بعضها الآخر .

وقد كانت الأمور مستقرة وهادئة داخل الكيان الصهيوني حتى عام ١٩٦٧. وكان الهرم المقلوب قد وقف على قاعدته من خلال يهود البلاد العربية، وتربع على قمته يهود البلاد الغربية، الذين كانوا يديرون الأمور ويستخدمون اليهود السفارد والشرقيين كعمالة رخيصة وأداة لضمان دوران دولاب العمل، وجعل هؤلاء يهللون بأن الهرم اليهودي تم تطبيعه، مع أن قاعدته كانت سفاردية وشرقية، وقمته إشكنازية غربية.

ولكن، مع دخول العمالة العربية بعد عام ١٩٦٧، ومع تزايد الثروات التي صبت في التجمع الصهيوني، حقق اليهود الشرقيون شيئًا من الحراك الاجتماعي، وتركوا قاعدة الهرم الإنتاجي والأعمال الوضيعة للعمال العرب، بل تحولوا إلى مقاولي أنفار (فهم يجيدون التعامل مع المادة البشرية العربية؛ بسبب خلفيتهم الثقافية المشتركة، وبالتالي فقد تحولوا إلى جماعة وظيفية وسيطة). وقد زادت بسبب هذا طفيليةُ وهامشيةُ القطاعِ اليهودي في الاقتصاد الإسرائيلي. وقد بدأ الشرقيون يطالبون بالمساواة مع الإشكناز. ولكن المفارقة الكبرى تكمن في أنه كلما ازدادت مساواة الشرقيين بالغربيين ازدادت أزمة المجتمع الصهيوني تفاقمًا، إذ أن العنصر اليهودي (بشقية الغربي والشرقي) سيزداد صعودًا إلى قمة الهرم وانعزالًا عن قاعدته الإنتاجية، الأمر الذي يزيد تواجد العرب فيها.

ويحاول الإشكناز تحاشي هذا الموقف عن طريق استيعاب الشرقيين دون دمجهم في المجتمع. فالاستيعاب لا ينطوي على صهر الجماعات المختلفة، بل يعني إمكانية السيطرة والتحكم لدرجة قد تصل إلى الهيمنة. وهذا يعني أن الشرقيين سيصبحون يهودًا بالمعنى العام للكلمة دون أن يصبحوا إشكنازًا، أي أنهم سيحلون

الأزمة السكانية للتجمع الصهيوني (كيهود) دون أن يهددوا مواقع الإشكناز المتميزة . ويتم إنجاز ذلك عن طريق طرح إطار مرجعي ثقافي غربي ، يشعر الشرقيون داخله بدونيتهم بشكل دائم ، فالشرقي حينما يحكم على نفسه بمقاييس حضارية إشكنازية سيجد نفسه ناقصًا (وهذا تكتيك استعماري معروف يشكل جوهر التبعية) . كما أن الإحساس بالدونية تجاه الإشكناز يترجم نفسه إلى إحساس بالفوقية تجاه العرب ، وإلى كره عميق نحو هم ، يجعل الشرقيين حريصين على خلق مسافة واسعة بينهم وبين العرب (وهذه إحدى السمات الأساسية لسلوك الطبقات التي توجد في الوسط) . وقد أدّى ذلك إلى تهميش الشرقيين سياسيًا وقطع جسورهم مع العرب . فالشرقيون ليؤكدوا ولاءهم للدولة ، وحتى لا تنصرف إليهم شبهة الخيانة - يأخذون موقفًا متشددًا من العرب (وهم بذلك حمائم تحاول أن تكون صقورًا) . ولكن .. بسبب موقفهم المتشدد هذا ، يؤكد أعضاء المؤسسة الإشكنازية أن الشرقيين غير صالحين للتفاوض مع العرب (أي أنهم صقور لا تصلح أن تكون حمائم) .

إن عملية التهميش السياسي والثقافي للشرقيين تشبه من بعض الوجوه عملية تغييب العربي وتهميشه في علاقته بالأرض . وفي الواقع فإن هذه العملية ساندتها بنية القوة المتحيزة للإشكناز الذين احتفظوا بكل مؤسسات صنع القرار في أيديهم (الوزارة والكنيست والوظائف الإدارية والسياسية العليا ، وبالدرجة الأولى المناصب القيادية في الجيش) ، ويُلاحظ أثر هذا الوضع في حدود الحراك الاجتماعي الذي يحققه الشرقيون ، فقد زادت نسبتهم في جميع مراحل التعليم ما عدا مرحلة التعليم العالي ، ونجدهم في الجيش في جميع مستوياته . ولكن نسبتهم تقل عند قمة الهرم العسكري ، فلا يوجد سوى ٣٪ من الشرقيين بين القيادات . وقد يشغل أحدهم

منصب رئيس الدولة ، أما منصب رئيس الوزراء صاحب القوة الفعلية فهو من نصيب الإشكناز . وهم قد يوجدون في الموشافيم ، ولكن لا يُسمح لهم بدخول الكيبوتسات ، أي المؤسسة التي تفرخ القيادات السياسية والعسكرية إلا بنسبة صغيرة . والفجوة بين الإشكناز والشرقيين ليست فجوة طبقية اجتماعية بالمعنى المألوف ، وإنما هي أيضًا تعبير عن الطبيعة الإحلالية للمجتمع الصهيوني الاستيطاني باعتباره مجتمعًا مبنيًا على اغتصاب الأرض وطرد سكانها ، واستيراد عنصري بشري يهودي شرقي فقير ، عليه أن يبقى كذلك حتى يظل عند قاعدة الهرم الإنتاجي .

ولذا يمكن القول بأن أزمة اليهود الشرقيين هي عن حق بؤرة أزمات المجتمع الصهيوني ، فهي تعبر عن أزمة الهوية ، والأزمة السكانية الاستيطانية وأزمة الإنتاجية والتطبيع ، أي أزمة الأيديولوجيا الصهيونية (الاستيطانية) . فإن قنع الشرقيون بموقعهم عند قاعدة الهرم ، وتقبلوا الصيغة المراوغة التي تجعلهم يهودًا وطليعة قتالية للشعب اليهودي دون أن يكونوا إشكنازًا ، ودون أن يشاركوا في صنع القرار بما يتناسب مع عددهم ، وزادوا معدلات استهلاكهم دون أن يتحركوا إلى قمة الهرم ، فإن أزمة الصهيونية كانت قابلة للحل ، وكان من الممكن أن يُقال حينذاك : إن هذا شعب يهودي واحد ، منتج بطبيعته ، له مؤسساته الديموقراطية مثل كل الأمم ، ولأمكن الاستمرار في القتل والقتال والاستيطان بالمادة البشرية اليهودية الشرقية ، تُوجهها المادة البشرية اليهودية الغربية ، وبذا تستمر الإمبريالية في الدعم والتمويل . ولكن إذا صاح الشرقيون ، وبددوا الصمت وملأوا الفراغات ، وطالبوا بأن يتحول القول إلى فعل ، وقالوا : إن كنا شعبًا واحدًا حقًّا ، فلم لا نشارك في صنع القرار بما يتفق مع نسبتنا العددية ، ولم لا نصعد نحن أيضًا إلى قمة الهرم ، إن صاحوا بذلك فإنّ في صياحهم هذا تهديد حقيقي للأوهام الصهيونية .

٣- هوية الدولة اليهودية :

تفجرت قضية الهوية اليهودية على مستوى الدولة التي يُقال لها : يهودية . فنشبت معركة بين الدينيين واللادينيين ، فاللادينيون يودون أن يروا إسرائيل دولة علمانية بمعنى الكلم ، لا تلتزم بأية قيم دينية أو أخلاقية ، يمارس فيها كل فرد حريته كاملة بحيث تتحول شعائر الدين اليهودي إلى مجرد شكل لطيف من أشكال الفلكلور والموروث القومي ، وبالتالي فهي ليست ملزمة . أما الصهاينة الدينيون فيذهبون إلى أن الدولة اليهودية لابد أن تتبع القيم الإثنية الدينية ، فتقيم شعائر الدين اليهودي ، وتمنع الإباحية ، وتغلغل الممارسات العلمانية (مثل البغاء والصور الفاضحة وأكل لحم الخنزير الذي يستهلكه الإسرائيليون بشراهة) . ولهذا السبب احتدم الصراع . ويتساءل اليهود المتدينون داخل وخارج إسرائيل كيف يمكن أن تُسمى الدولة الصهيونية ، التي تُعَد من أكثر الدول إباحية في العالم ، دولة يهودية ؟ وقام العلمانيون من جانبهم بمحاولة تأكيد أن الدولة الصهيونية دولة علمانية ويهودية في آن واحد ، وقاموا بحرق أحد المعابد اليهودية ، وإلقاء رأس خنزير في معبد آخر (وهذه وقائع مرتبطة في وجدان أعضاء الجماعات اليهودية بالنازية ومعاداة اليهود) .

ولكن إلى جانب هذا الانقسام الأساسي حول الدولة اليهودية هناك انقسامات أخرى فرعية . فاليهود الإثنيون المتمسكون بإثنيتهم ، وبخاصة المقيمون في الخارج ، يقولون : كيف يمكن أن نسمي الدولة الصهيونية ، التي تتزايد فيها معدلات الأمركة والعولمة ، دولة يهودية . أما اليهود ذووا الاتجاهات الثورية واليسارية فيقولون : هل يمكن أن نسمي دولة تقوم بالتجسس لحساب الولايات المتحدة ،

وتزويد النظم الفاشية في أمريكا اللاتينية بالأسلحة، وكانت تتعاون مع نظام الأبارتهايد في جنوب أفريقيا - دولةً يهودية ؟

وكما أن عودة السياسة الإثنية تعبير عن نفس الأزمة، فقد شهدت الانتخابات الإسرائيلية الأخيرة عودة السياسة الإثنية، إذ ظهرت عدة أحزاب ذات أساس إثني وليس عقائديًا (شاس - جيشر)، وهي ظاهرة اتسمت بها الحياة السياسية في إسرائيل في السنين الأولى بعد إعلان الدولة. وعودتها بهذه الحدة مرة أخرى بعد حوالي نصف قرن يدل على عمق التناقضات وبنيويتها، وعلى الفشل في تعريف اليهودي.

٤- الشعب اليهودي في الخارج :

كانت الصهيونية ترى أنها ستؤسس دولة يهودية تكون بمنزلة المركز ليهود العالم، وكان من المفروض أن تهاجر أغلبيتهم إليها، أما من تبقى منهم فواجبه دعم الدولة الصهيونية ماديًا وسياسيًا نظير أن تحافظ له على هويته اليهودية، وتحفظها من الانصهار والذوبان. ولكن ما حدث كان أبعد ما يكون عما هو مُتوقع، إذ لم يهرع الشعب اليهودي إلى وطنه الجديد، وآثر البقاء خارج حدود أرضه ووطنه المزعوم دون أن يحرك ساكنًا، منفيًا بإرادته متمتعًا بمنفاه، أو لعل أعضاء هذا الشعب، إذا ما نفضنا غبار القول الصهيوني، ليسوا أعضاء فيه، وإنما هم بشر عاديون، يعيشون في أوطانهم الفعلية، ينتمون إليها ولا يفكرون في الهجرة ؛ لأنه ليس هناك ما يدعو إلى ذلك. وحتى حينما يفكرون في ترك أوطانهم، فإنهم (كبشر) يدرسون البدائل والفرص، وتتجه أغلبيتهم نحو الولايات المتحدة، وهو ما يدل على أنهم أبناء عصرهم، وأن حساباتهم دقيقة وسليمة، فمن ذا الذي

يطيب له أن يترك الأمن والمستوى المعيشي المرتفع في الولايات المتحدة ليستوطن حيث الحرب والهجمات الانتحارية وشظف العيش؟

بل لقد ثبت أن الدولة الصهيونية ساعدت على تسارع معدلات الاندماج بينهم، إذ إن يهودية هؤلاء «الإثنية» عبَّرت عن نفسها لا من خلال أسلوب حياة يهودية متكامل، وإنما من خلال دعم إسرائيلي وحسب. وكما ظهر أن الدولة الصهيونية تسبب لهم الكثير من الحرج حينما تتصرف في إطار المقولات الصهيونية الجامدة، وتفصح عن وجهها الإرهابي، وبخاصة على شاشات التليفزيون وأمام جيرانهم الليبراليين العلمانيين. هذا فضلًا عن أن الدولة اليهودية لم تنجح في أن تنتج فكرًا دينيًا يهوديًا، فمعظم المفكرين الدينيين اليهود لا يزالون نتاج الدياسبورا. لكل هذا يحاول أعضاء الجماعات اليهودية في العالم حل مشاكلهم (ومن ذلك مشكلة المعنى) داخل إطار مجتمعاتهم (انظر: «موقف الجماعات اليهودية من الصهيونية»).

إن مقولة «اليهودي» التي تشكل حجر الأساس في المشروع الصهيوني تفككت أثناء الممارسة الصهيونية في أرض فلسطين المحتلة.

ثانيًا: الأزمة السكانية الاستيطانية وأزمة الخدمة العسكرية:

١- الأزمة الاستيطانية:

كان من الممكن أن يتجاوز الكيان الصهيوني كل مظاهر أزمة الهوية ويستوعبها، أو على الأقل كان يمكنه أن يتجاهلها، كما كان يفعل في الماضي، مادامت المادة البشرية الاستيطانية متوفرة: ففيم تهم قضية الهوية أو التطبيع لو أن الوقود البشري لا يكف عن التدفق نحو آلة الحرب، والاستيطان الصهيوني لخلق

حقائق جديدة ، وأمر واقع جديد ؟ ولكن الأمر ليس كذلك ، فثمة أزمة سكانية عميقة تجعل من المشروع الصهيوني أكذوبة عقيمة دخلت طريقًا مسدودًا .

ولفهم هذا الجانب من أزمة الصهيونية الاستيطانية ، علينا أن نغير المنظور قليلًا ونتحدث لا عن المستوطن الصهيوني وحسب ، وإنما عن الجماعات اليهودية في الغرب ، وخصوصًا في الولايات المتحدة . فالحركة الصهيونية ، منذ ظهورها في أواخر القرن الماضي ، تعاني أزمة سكانية تتهددها في الصميم . ذلك أن المشروع الصهيوني مشروع استعماري ، وعد بتقديم المادة البشرية المطلوبة للاستيطان والقتال ، ولكن هناك تطورات قد حدثت منذ عام ١٨٨٢ حتى الوقت الحالي هي :

١- استُؤنف التحديث المتعثر المتوقف في شرق أوروبا بعد عام ١٩١٧ (عام توقيع وعد بلفور) ، الأمر الذي فصل الكتلة البشرية اليهودية في روسيا عن المشروع الصهيوني ، إذ إن المجتمع السوفيتي الجديد الذي حرَّم معاداة اليهود أتاح أمامهم فرص الحراك الاجتماعي . وقد كان هناك مفكرون يهود كثيرون تنبأوا بذلك وراهنوا عليه ، وانخرطت أعداد كبيرة من الجماهير اليهودية (اليديشية) في صفوف الأحزاب الثورية الاشتراكية في روسيا وغيرها .

٢- اختفت أعداد كبيرة من الكتلة البشرية اليهودية في بولندا وغيرها من دول أوروبا ؛ من خلال الإبادة النازية ليهود أوروبا وغيرهم من الجماعات الإثنية والدينية ، أو من خلال عناصر أخرى (مثل التنصير والتخفي) .

٣- ظهر أن الولايات المتحدة تشكل نقطة جذب بالنسبة للمهاجرين اليهود من أوروبا ومن كل أنحاء العالم . وقد بدأ هذا الاتجاه في التبلور مع تعثر التحديث

وتوقفه في شرق أوروبا . ومن المعروف أن الآلاف القليلة التي اتجهت إلى فلسطين للاستيطان فعلت ذلك ؛ لأن أبواب الولايات المتحدة كانت موصدة دونها . ولكن .. بعد أن فُتحت الأبواب منذ الستينات ، تتجه الهجرة اليهودية قدمًا نحو المنفى البابلي الجديد اللذيذ .

٤- يُلاحَظ التناقص المستمر في أعداد أعضاء الجماعات اليهودية في العالم (خارج إسرائيل) ، فيما يُسمى ظاهرة « موت الشعب اليهودي » بسبب الاندماج والزواج المختلَط ، والعزوف عن الزواج والإنجاب وانخفاض الخصوبة .

٥- لم يهاجر أعضاء الجماعات اليهودية إلى الدولة الصهيونية بأعداد غفيرة كما كان متوقعًا ، فهم صهاينة توطينيون ، يتحدثون عن الصهيونية بحماس ، ولكنهم لا يهاجرون .

٦- أفرغت الهجرة اليهودية السوفيتية الأخيرة المصادر المتبقية للمادة البشرية الاستيطانية في شرق أوربا (المصدر الأساسي للمستوطنين) .

٧- ومما يزيد المشكلة السكانية حدة ، بالنسبة للكيان الصهيوني - ظاهرةُ النزوح . إذ يُلاحَظ أن أعداد النازحين آخذة في التزايد في الآونة الأخيرة . وقد بلغ عددهم ما يزيد على ٧٠٠ ألف (أو أكثر حسب الإحصاءات غير الرسمية) . وقد أصبح قرار النزوح مقبولًا اجتماعيًا ، ويظهر على شاشات التليفزيون الإسرائيلي بعض النازحين ؛ ليتحدثوا عن قصص نجاحهم في الولايات المتحدة ، كما تظهر في الصحف الإسرائيلية إعلانات عن إسرائيليين يودون بيع شققهم استعدادًا للهجرة ، وهذه أمور كانت في الماضي تتم سرًا . كما يُلاحظ أن نوعية النازحين نفسها قد تغيرت ، فمعدل النازحين من بين أبناء الكيبوتسات التابعين لأكبر حركتين

(الحركة الكيبوتسية الموحدة والكيبوتس القُطري) في فئة العمر ٢٥- ٤٥ هو ٦٪ في المتوسط . وهذا المعدل يساوي معدل نزوح هذه الأجيال في المجتمع الإسرائيلي . وقد نزحت العناصر العسكرية عن المُستوطَن الصهيوني بأعداد كبيرة آخذة في التزايد .

والأزمة السكانية تثير قضية الهوية اليهودية ، ولكنها في الوقت نفسه تثير بشكل مباشر قضية الاستيطان . فالصهاينة يصرحون كل يوم بعزمهم على إنشاء المستوطنات ، ولكن المستوطنات في الضفة الغربية قائمة وتزداد عددًا وحجمًا ، ولكن عدد المستوطنين فيها لم يزد بعد مرور ما يزيد عن ثلاثين عامًا عن ١٢٠- ١٤٠ ألف (وهو عدد أقل من الزيادة الطبيعية السنوية للفلسطينيين العرب في تلك المنطقة) . وكان الجيب الاستيطاني الصهيوني حتى عام ١٩٦٧ إحلاليًا ، ولكنه تحول إلى جيب استيطاني من النوع الذي يستند إلى التفرقة اللونية على طريقة جنوب إفريقيا حيث يتم الاحتفاظ بالأرض ومن عليها من سكان ، ويتم تحويلهم إلى مصدر للعمالة الرخيصة .

وقد أتاح النظام العالمي الجديد فرصًا جديدة للنظام الاستيطاني الصهيوني ، بحيث أصبح بوسعه أن يتجاوز نطاق فلسطين المحتلة ؛ ليتغلغل في البلاد العربية ؛ وليحول السوق العربية إلى سوق شرق أوسطية يلعب هو فيها دور الوسيط الأساسي بين العرب والغرب ، بل بين كل دولة عربية وأخرى .

وتكمن المفارقة في أن توسع الجيب الاستيطاني يتطلب المزيد من المستوطنين – أي المادة البشرية – للاستيطان والقتال وللأعمال التجارية ، ولكن المادة البشرية اليهودية غير متوافرة ، وإن تم استيراد مادة بشرية عربية ، فإن هذا يشكل تهديدًا

لهوية الدولة . وقد ظهر في إسرائيل صراع بين ما سمي « الصهيونية الديموجرافية » أو « السكانية » و« صهيونية الأراضي » .

٢- أزمة الخدمة العسكرية :

يستند الوجود الصهيوني إلى العنف والإرهاب ، إذ إنه يهدف إلى التخلص من أصحاب الأرض وإحلال آخرين محلهم . وهي عملية لا يمكن أن تتم بالوسائل السلمية . كما أنه كيان غُرس في المنطقة بسبب دوره القتالي ضد المنطقة العربية . وعلى مستوى من المستويات ، يمكن القول بأن المشروع الصهيوني كان يهدف إلى نقل الشنورير أو المتسولين اليهود (وكل الفائض البشري اليهودي) إلى فلسطين وتحويلهم إلى مادة قتالية تخدم المصالح الغربية . وهذا هو أحد أهداف الجيوب الاستيطانية التي أسسها العالم الغربي في آسيا وإفريقيا . ولذا ، فإن وجود كل جيب استيطاني يستند إلى قوة عسكرية ضخمة ؛ لتطرد السكان الأصليين أو لتقمعهم ، ولتنفذ المخطط العسكري الغربي ، وتحقق الحد الأدنى من الطمأنينة لجماهير المغتصبين . والقوة العسكرية الصهيونية تنتمي لهذا النمط ، وقد أحرزت قدرًا لا بأس به من النجاح والشرعية أمام جماهير المستوطنين .

وكانت العسكرية الصهيونية قد نجحت في أن ترسخ في وجدان الإسرائيليين فكرة أن إسرائيل دولة صغيرة تدافع عن نفسها ضد هجمات جيرانها العرب ، الأمر الذي أعطى الحروب الصهيونية ضد العرب حتى عام ١٩٦٧ عقلانيتها ومشروعيتها . ولذا ، كان تجنيد الشباب الإسرائيلي يتم بنجاح ملحوظ عن طريق التوجه إلى حسهم الأخلاقي والقومي والديني ، ورغبتهم في البقاء باعتبار أن الدفاع عن الذات رغبة إنسانية أخلاقية مشروعة .

بل إن الأيديولوجية الصهيونية التي تجعل اليهود شعبًا مختارًا بالمعنى الحلولي (الديني والعلماني)، وتخلع القداسة على كل ممتلكات الدولة، وبخاصة حدودها، خلعت القداسة على الجيش حتى أنه وُصف بأنه القداسة بعينها، وقد وصف ابن جوريون الجيش بأنه خير مفسر للتوراة، فمفسر التوراة هو وحده القادر على تعريف حدود إسرائيل. ومن ثم اكتسبت الخدمة العسكرية قداسة خاصة. إلى جانب هذا كانت الخدمة العسكرية السبيل لدخول النخبة الحاكمة، ففي المجتمع الاستيطاني، لا بد أن يدفع الفرد ضريبة الدم، فيصبح جديرًا بالحكم والمشاركة في صنع القرار. ولذا كان تجنيد الشباب الإسرائيلي يتم بنجاح شديد، عن طريق التوجه إلى حسهم الأخلاقي والقومي والديني، ورغبتهم في البقاء باعتبار أن الدفاع عن الذات رغبة إنسانية أخلاقية مشروعة، وباعتبار أن العرب يهددون البقاء الإسرائيلي نفسه. ومما دعَّم كل هذه الادعاءات انتصاراتُ إسرائيل المتتالية الحاسمة، التي ضمنت للمستوطنين البقاء وتدفق المعونات من الخارج.

وقد ظل هذا هو الوضع السائد حتى عام ١٩٦٧ حين بدأت المشاكل، وبدأ إيمان المستوطنين الصهاينة بنظرية الأمن الإسرائيلية ومشروعيتها في الاهتزاز. وكان أولها حرب الاستنزاف، التي أحس الإسرائيليون خلالها أن عمليات النصر السريعة ليست أمرًا متيسرًا وسهلًا. ثم جاءت حرب ١٩٧٣ حين اكتسحت القوات العربية المصرية والسورية خط بارليف، والتحصينات العسكرية، وألحقت خسائر بالعدو الصهيوني. ثم كان هناك أخيرًا حربُ لبنان («المستنقع اللبناني» في المصطلح الإسرائيلي)، التي انتهت بهزيمة ساحقة، وبفشل ملحوظ في تحقيق الهدف الذي كانت تطمح إليه الحملة (القضاء بشكل نهائي على المقاومة الفلسطينية واللبنانية).

ثم شهدت هذه الفترة عمليات فدائية مستمرة لم تتوقف ألبتة ، كان آخرها وأهمها وتاجها عملية « قبية » التي قام بها مواطنان عربيان (أحدهما سوري ، والآخر تونسي) في ٢٥ نوفمبر ١٩٨٧ بمناسبة مرور ٣١ عامًا على مذبحة قبية . فقد استقلا طائرتين شراعيتين ، فاستشهد أحدهما في الطريق ، ولكن نجح الآخر في الهبوط في إحدى المستوطنات الصهيونية ، فقتل ستة إسرائيليين ، ثم اسُتشهد . (ولذا كان أحد شعارات الانتفاضة : ستة مقابل واحد) . وقد بينت هذه العملية للمستوطنين الصهاينة أن ذاكرة العرب التاريخة حية ، وأن ذراع الدولة الصهيونية الاستيطانية العسكرية القوية لا يمكن أن تضعهم في برج حصين ، ولا أن تقدم لهم الحماية طول الوقت . ثم جاءت انتفاضة الحجارة لتبين مدى عجز العدو عن القيام بالعمليات الجراحية ، والضربات الإجهاضية التي تسكت الآلام مرة واحدة .

هذا الوضع ولَّد لدى الإسرائيلين إحساسًا عميقًا بما يُسمى « عقم الانتصار » ؛ لأن الحروب المستمرة (التي كان يُنتظر من كل واحدة منها أن تنهى كل الحروب) لم تأت لا بالسلام ولا بالنصر . وقد تبين الإسرائيليون أنهم وصلوا إلى ما يمكن تسميته « نقطة الذروة » ، أي أنهم وصلوا لأعلى نقط استخدام العنف والقوة دون جدوى .

إضافة إلى هذا أدرك كثير من الشباب الإسرائيلي أن الدولة الصهيونية ليست في حالة دفاع عن النفس كما يقولون ، وإنما هي دولة عدوانية . ففي حرب لبنان على سبيل المثال أعلنت المؤسسة العسكرية أن الهدف من عملية سلام الجليل هو هدف « دفاعي » حتميٌ لوقف ما يسمونه الهجمات الفدائية وتطهير مساحة ٦٧ كيلو مترًا مربعًا من لبنان . ثم ظهر أن الهدف الحقيقي كان هو فرض حكومة

وظيفية عميلة في لبنان تحت حماية إسرائيل . وقد أدّى هذا إلى تداعي الإجماع القومي الإسرائيلي . كما أن استمرار الاحتلال في الضفة الغربية لما يزيد على عشرين عامًا كان من الصعب الدفاع عنه باعتباره « دفاعًا عن النفس » .

ومع تراجُع احتمالات الحرب بين العرب والمستوطنين الصهيانة (بعد توقيع شتى معاهدات السلام) ، أصبح الحديث عن العمليات العسكرية الإسرائيلية باعتبارها دفاعًا عن النفس أمرًا مستحيلًا . ولا شك في أن زيادة معدلات العلمنة والعولمة والسعار الاستهلاكي لا تساعد كثيرًا على تصعيد روح القتال . كما أن جو الخصخصة العام السائد في إسرائيل يزيد تمركز الفرد حول نفسه ويجعله يضع نفسه قبل المجتمع .

ولذا ، فقد شهدت القوات العسكرية الإسرائيلية ، لأول مرة في تاريخها ، ظواهر احتجاجية مختلفة ، جديدة عليها كل الجدة ، مثل زيادة نزوح أبناء الكيبوتسات ، العمود الفقري للمؤسسة العسكرية واحتياطيها الحقيقي ، إلى المدن الإسرائيلية ، ثم إلى الولايات المتحدة الأمريكية . وقد زادت كذلك نسبة النازحين من الضباط والخبراء العسكريين والمهندسين والعاملين في الصناعات الحربية خارج إسرائيل (وخصوصًا بعد توقف العمل في مشروع الطائرة لافي) .

وكذلك ، زادت نسبة تعاطي المخدرات وانتشار الجرائم الجنسية بين أفراد القوات الإسرائيلية ، وضعف مستوى الأداء بشكل ملحوظ حتى أن أحد تقارير البنتاجون ورد فيه أن ١٠٪ من جملة الخسائر أثناء حرب لبنان كان مصدرها الإسرائيليون أنفسهم ، وتُعَد هذه نسبة عالية جدًّا .

وقد لوحظ تخثُّر المادة العسكرية الإسرائيلية فتزايد الفساد والرشوة في صفوف القيادات . وقد اكتُشفت شبكة كاملة من كبار الضباط في الجيش الإسرائيلي ، ممن تلقوا رشاوي ضخمة من جنود الجيش العاملين في الجنوب اللبناني والاحتياط ، مقابل إعفاء هؤلاء الجنود من الخدمة العسكرية ، وقد أشارت صحيفة « معاريف » إلى أن ١٥ ضابطًا ومسئولًا ، منهم طبيب نفسي كبير في وزارة الدفاع الإسرائيلية ، اشتركوا معًا في إصدار تقارير الإنهاء لأسباب مزيفة لجنود لديهم المال ، لكنهم يخشون الالتحاق بالخدمة العسكرية .

وهذه الوقعة الأخيرة مرتبطة تمام الارتباط بأهم الظواهر الاحتجاجية ، أي انصراف الشباب من المستوطنين الصهاينة عن الخدمة العسكرية ، بل الفرار منها . وقد صرح وزير الدفاع السابق إسحاق مردخاي بأن انخفاضًا حادًا طرأ على مستوى الاندفاع والرغبة القتالية في صفوف الشباب الإسرائيلي . ويتحدث الإسرائيليون بقلق عن طبقة من الشبان تدعى « جيل إم . تي . في » نسبة إلى قناة تقوم بيث الغناء بشكل متواصل في إسرائيل . وأعضاء هذا الجيل لا يبدون اكتراثًا بالأوضاع العامة للدولة ، ويميلون إلى الدعة والراحة ، وهذا - على - كلٌ تعبيرٌ عن التوجه الاستهلاكي العام في المجتمعات الصناعية التي يُقال لها : « متقدمة » . وكما يقول موردخاي : « يعتقد البعض أننا وصلنا مرحلة الراحة ، والبعض الآخر يرى أننا يجب ألا نساهم بكل جهودنا في الدفاع عن إسرائيل » .

وفي فترة قريبة كان التطوع في صفوف قوات النخبة (وحدة المظليين) يعتبر من الأعمال المرموقة . وقد اضطرت هذه القوات في السابق إلى الاعتذار لعدد من الراغبين بالتطوع ؛ لوجود ما يكفيها من العناصر . غير أن الوضع الآن تغير كما

يبدو ، فكثيرون يستخدمون حيلًا دنيئة للتخلص من الخدمة العسكرية ، مثل الزعم بمرورهم بأحوال نفسية مضطربة . وفي إحدى استطلاعات الرأي صرَّح ثلث الشباب الإسرائيلي أنهم إن أتيحت لهم فرصة تحاشي الخدمة العسكرية الإجبارية (التي تستغرق ثلاث سنوات) لفعلوا ذلك . وقد لوحظ تصاعد معدلات الهروب من الشريط المحتل في لبنان . ويعتمد الجيش الإسرائيلي على نظام الاحتياط ، فيقوم باستدعاء جنود الاحتياط (الذين بلغ عددهم عام ١٩٩٦ حوالي ٤٢٩,٠٠٠) مرة كل عام لمدة شهر حتى سن الخمسين ؛ لإعادة تدريبهم . وقد لوحظ أن حوالي الثلث يتغيبون . ويطلقون الآن في إسرائيل على الذين يؤدون خدمة الاحتياط الكلمة العبرية « فرياريم » ، وتعني « البُلهاء » . وأثناء الصدام الذي وقع بين الجيش الإسرائيلي وسكان نابلس في سبتمبر ١٩٩٦ استدعت إحدى فرق الاحتياط الجنود التابعين لها والبالغ عددهم ٣٤٠، فلم يحضر سوى ٦٠، ولم يبق منهم سوى ثلاثين . وقد رفض أحدهم الذهاب للضفة الغربية . والأهم من هذا كله أن هناك قبولًا اجتماعًا لهذا الموقف ، وهو أمر جديد كل الجدة في التجمع الصهيوني ، الذي كانت الخدمة العسكرية فيه (حتى نهاية الستينات) تُعدُّ الشرف الأكبر الذي يمكن أن يحصل عليه المواطن / المستوطن .

أمام هذا الوضع يفضل الجيش الإسرائيلي أن يستبعد مثيري المشاكل ويتركهم وشأنهم حتى لا تُثار القضية ، وحتى لا يناقشها الرأي العام (من أبطال التهرب من الخدمة العسكرية . رافيف غيفين ، ابن شقيقة موشي ديان ، الذي ظهر قبل سنوات في التليفزيون وهو يتحدث عن كيفية حصوله على الإعفاء من الخدمة لأسباب نفسية) .

إن كل هذه الظواهر تدل على مدى عمق الأزمة الصهيونية ، فجيش الدفاع الإسرائيلي هذا ، وصورته التي يذيعها عن نفسه ، لبنة أساسية في العقد الاجتماعي الصهيوني ، وسند أساسي لشرعية الصهيونية ، سواء في علاقة المجتمع الصهيوني مع نفسه أو في علاقته مع العالم الخارجي . واهتزاز الصورة هو اهتزاز الأسس المهمة للشرعية .

ثالثًا : تقويض الأيديولوجية الصهيونية من خلال الاستهلاكية (والأمركة والعولمة والخصخصة والعلمنة) :

تسببت الأزمة الصهيونية في ظهور أزمة أيديولوجية عميقة ، فبعد أن طرح الصهاينة فكرة اليهودي الخالص ، كما أسلفنا ، وجدوا أن يهود المنفى شخصيات مريضة شاذة غير سوية . وهذا الشذوذ ، ومن وجهة نظرهم ، له مظهران أساسيان : أحدهما اقتصادي ، والآخر سياسي ، أما المظهر الاقتصادي فيتضح في عدم إنتاجية اليهود واشتغالهم بأعمال السمسرة والمضاربات والأعمال الهامشية غير المنتجة ، مثل التهريب والأعمال المالية والعقارات وتجارة الرقيق الأبيض . أما المظهر السياسي ، فيتلخص فيما يُطلق عليه إشكالية العجز بسبب افتقاد السلطة أو السيادة . فالصهاينة يرون أنه بعد تحطيم الهيكل الثاني عام ٧٠ ميلادية ، أصبح اليهود جماعات مشتتة تشتغل بالتجارة والربا ، وتُوجَد خارج نطاق مؤسسات صنع القرار ، دون أن تساهم في صياغته ، وتفتقر إلى أية سيادة سياسية مستقلة ، الأمر الذي كان يعني – من وجهة نظر الصهاينة – توقُّف مسار التاريخ اليهودي .

وقد طرح الصهاينة رؤيتهم للمجتمع اليهودي المثالي (أي التجمع الصهيوني) كجزء من مشروع حضاري متكامل يهدف إلى تطبيع الشخصية اليهودية .

وقد طرح الصهاينة رؤيتهم للمجتمع اليهودي المثالي (أي التجمع الصهيوني) كجزء من مشروع حضاري متكامل يهدف إلى تطبيع الشخصية اليهودية (وهذا من واقع الأمر أول استخدام للمصطلح في الأدبيات الصهيونية) .

والتطبيع هنا يعني الشفاء من عقلية الاستجداء الاقتصادي من الغير أو الأغيار ومن الاعتماد السياسي عليهم ، كما يعني عدم الانغماس في أعمال السمسرة والمضاربات والأعمال الهامشية غير المنتجة والتحول إلى شعب يهودي منتج بمعنى الكملة يسيطر على كل مراحل العملية الإنتاجية ، وبالتالي على مصيره الاقتصادي والسياسي . وقد عبر بوروخوف عن القضية نفسها بقوله : إن الحل الصهيوني هو أن يقف الهرم الإنتاجي على قاعدته فيتركز اليهود في العمليات الإنتاجية (في قاعدة الهرم) ، ويعملون بأيديهم ، وتصبح أغلبيتهم من العمال والفلاحين . أما المهنيون والعاملون في القطاعين التجاري والمالي ، فإنهم يصبحون قلة على قمة الهرم ، شأنهم في هذا شأن أي مجتمع آخر . وهذا ما يُطلق عليه اصطلاحًا « العمل العبري » و« غزو الأرض والعمل والحراسة والإنتاج » ، أي أن يستولي الصهيوني على الأرض ويعمل فيها بيده ويسيطر على مراحل الإنتاج كافة ، وهو إن فعل هذا يكن قد أنجز الثورة الصهيونية الحقة ، فاستولى على الأرض وزرعها ، وعلى الهيكل الاقتصادي وعمل فيه ، وعلى الهيكل السياسي وتحكم فيه ، وتحوَّل هو نفسه من شخصية هامشية إلى شخصية منتجة ، أي أنه يكون قد تم تطبيعه تمامًا . ومن هنا يكون الاستيطان الإحلالي (الاستيلاء على الأرض وطرد سكانها والعمل فيها) لا فعلًا خارجيًا يحمل مدلولًا اقتصاديًا محدودًا ، وإنما هو فعل شامل ذو أبعاد سياسية وقومية ، وفي نهاية الأمر .. نفسية ، وهو أيضًا يحل مشكلة المعنى بالنسبة للصهاينة ويعلن وجودهم في فلسطين التي تلفظهم ويقاتل أهلها ضدهم .

لكن ، وبعد مرور ما يقرب من خمسين عامًا على تأسيس الدولة الصهيونية ، يمكن القول بأنها أبعد ما تكون عن قصة النجاح الموعود . أما على مستوى السيادة السياسية ، فالمستوطن الصهيوني يضطر دائمًا - نتيجة وضعه - للاعتماد على قوة خارجية تضمن له البقاء والاستمرار من خلال الدعم العسكري والسياسي المستمرين ، وهو ما يفرغ مفهوم السيادة من مضمونه تمامًا .

والدعم الاقتصادي للدولة الصهيونية يحل مشاكلها الاقتصادية ، ولكنه تذكير يومي للمواطن الإسرائيلي بأن الصهيونية لم تنجح في تطبيع اليهود وفي شفائهم من أمراض المنفى . فالمستوطن الصهيوني أصبح شخصية استهلاكية ، ولم يتحول إلى شخصية منتجة يعمل بيديه ، ويتواجد في مختلف المراحل الإنتاجية . فإنتاجية العامل الإسرائيلي تعادل نصف إنتاجية العامل الأمريكي ، وهو أقل إنتاجية من عمال الدول الصناعية كلها (باستثناء إيطاليا) .

ويتبدى تقلص الإنتاجية الإسرائيلية في تقلص القطاع الإنتاجي ، وتضخم قطاع الخدمات . وقد لاحظ أمنون روبنشتاين ، أنه في عام ١٩٤٥ ، أي قبل إعلان الدولة ، كان عدد اليهود المشتغلين بأعمال إنتاجية هو ٢٤٪. وبعد إعلان الدولة ، وقف الهرم الإنتاجي على قاعدته ، وبلغ عدد اليهود المشتغلين بوظائف إنتاجية ٦٩٪. ولكن بعد مرور مائة عام على الاستيطان الصهيوني والممارسة الصهيونية ، هبطت النسبة مرة أخرى إلى ٢٣٪.

وقد ساهمت الانتفاضة المجيدة في فضح العدو أمام نفسه ، إذ ثبت أن العمالة العربية المنتجة لا تزال قائمة على أرض فلسطين قبل وبعد عام ١٩٤٨ . ولم يحاول المجتمع الصهيوني أن يحل مشكلة العمالة من الداخل ، أو حتى بالتوجه إلى الضمير

اليهودي العالمي ، وإنما حاول حلها عن طريق استيراد العمالة ، وكأن الحديث عن زيادة الإنتاجية والعمل العبري قد تبخر جميعًا ، حتى على مستوى الديباجات اللفظية .

وتُعبِّر أزمة الانتاجية عن نفسها في تفشي المضاربات في صفوف الإسرائيليين . وقد ظهر أن المصارف الأساسية في إسرائيل ، وكذلك قطاع كبير من المواطنين العاديين – متورطون في عمليات مضاربة تضمن لهم أرباحًا ثابتة بضمان الحكومة دون بذل أي جهد ، ودون مخاطرة كبيرة ، وهذه عقلية الوسيط الطفيلي . وقد كُشف النقاب عن أن بعض الكيبوتسات متورطة هي الأخرى في أعمال السمسرة والمضاربات . وقد تزايدت معدلات الجريمة في إسرائيل بشكل مذهل ، ويُلاحظ انتشار المخدرات والأمراض النفسية والبغاء .

والفشل الأيديولوجي وتآكل الأيديولوجية يُولد ما يُسمى « أزمة المعنى » . وعادة ما تؤدي أزمة المعنى إلى إحساس بالعدمية ، يحاول الإنسان التغلب عليه من خلال الاستغراق في عنصر مادي بشكل كامل (شرب المخدرات ، الإباحية ، الاستهلاك) ، يبحث الإنسان فيه عن قدر من اليقين . لكن ما يحدث هو العكس ، إذ إن تصاعد الاستهلاك وإغراق الحواس فيه يزيد أزمة المعنى بدلًا من تهدئتها ، ويزداد بذلك تآكل الأيديولوجية وتقويضها .

وتوجد عناصر أخرى في بنية المجتمع الاستيطاني الصهيوني (الاستهلاكية) تصعد هذا الاتجاه .

١– لوحظ أن المجتمعات العلمانية تمر بمرحلتين : مرحلة تقشفية تراكمية (صلبة) ، وأخرى استهلاكية فردوسية (سائلة) ، وتنتمي المجتمعات الاستيطانية إلى نفس النمط ، بل إن تحقق النمط في حالتها يتسم بقدر أعلى من الحدة والتطرف . فالمجتمعات الاستيطانية تبدأ هي الأخرى بمرحلة تقشفية حادة ، تتطلب

التنظيم الصارم وضبط النفس وإنكارها، بل التضحية والقتال المستمر (ضد الطبيعة المعادية والسكان المعادين)، وهي مرحلة تتسم بالأشكال الاقتصادية الجماعية، والملكية الجماعية أو شبه الجماعية للأشياء، وتضخُّم القطاع العسكري وتغلغله في كل القطاعات الأخرى. وهذه المرحلة هي المرحلة التقشفية التراكمية التي يتم فيها الاستيلاء على الأرض، وكذلك طرد السكان الأصليين وإبادتهم ومراكمة رأس المال.

ولكن كل هذا يتم، منذ البداية، باسم الهدف النهائي والقيمة المرجعية النهائية والمطلق العلماني الأوحد، أي تحقيق الذات وتعظيم اللذة، وكل ما يتم من إرجاء لإشباع الغرائز إنما يتم باسم الاستهلاك الآجل. وإذا كانت مرحلة التقشف حادة في تقشفها، فالمرحلة الاستهلاكية في المجتمعات الاستيطانية لا تقل عنها حدة. ويعود هذا إلى أن المستوطن إنسان ترك وطنه واقتُلِع من جذوره ليحقق حراكًا اجتماعيًا ومزيدًا من الاستهلاك، وانتقل إلى مجتمع استيطاني يظن أنه الفردوس الأرضي الموعود. والمهاجر المستوطن يرفض تقاليد وطنه أو يتركها وراءه أو يجمدها، وهو يقوم عادة بعملية الاستيطان في غياب أية مؤسسات دينية، وإن وُجدت فهو عادة يسيطر عليها، ويوظفها لتقوم بعملية تسويغ عمليات الإبادة والطرد التي يقوم بها، وهو إلى جانب كل هذا لا يتبنى التقاليد الدينية والثقافية والاجتماعية للسكان المحليين، وإنما يقوم بتحطيمها، ولذا فإنه يصبح كيانًا عاريًا تمامًا أمام المادة (والتجربة الاستيطانية الغربية هي بهذا المعنى تجربة علمانية مكثفة). ويعني كل هذا في نهاية الأمر أن قيم المنفعة واللذة تكون في مثل هذه المجتمعات في حالة تَرَقُّب وانتظار؛ لتتحقق وتكتسح المطلقات كافة في طريقها مع تزايد معدلات العلمنة.

والمستوطن الصهيوني لا يشكل استثناء من القاعدة، فقد بدأ بمرحلة ريادة مسلحة تقشفية، وانتهى إلى مرحلة استهلاكية فردوسية. ولكن عملية الانتقال إلى المرحلة الثانية تمت بسرعة أكثر من المتوقع؛ لأن المستوطنين الصهاينة كانوا منذ البداية ممَّولين من الخارج من قبل اللورد روتشيلد، ثم زاد الدعم والتمويل بعد عام ١٩١٧ من قبل المنظمة الصهيونية العالمية. ولكن فترة الريادة المسلحة لم تكن تقشفية بالقدر الكافي، ولم تكن تراكمية على الإطلاق، وكانت تحوي داخلها قدرًا عاليًا من اللذة الآنية، والسعار الاستهلاكي، والرغبة الجامحة في تحقيق الذات، وبعد إنشاء الدولة، زاد الدعم من الخارج بدرجة لم يشهدها التاريخ الإنساني من قبل، وهو ما أدى إلى زيادة حدة التوقعات الاستهلاكية، وإلى إضعاف المقدرة على التقشف وعلى إرجاء المتعة. ولذا فحينما حققت إسرائيل انتصارًا في عام ١٩٦٧، أي بعد نحو ٢٠ عامًا وحسب من تأسيس الدولة، تفجرت الرغبات الاستهلاكية وزاد النزوع نحو اللذة، وارتفعت التوقعات، وانخفضت المقدرة على التحمل، إذ شعر المستوطنون الصهاينة أن المرحلة التقشفية قد انتهت، وأن الوقت قد حان لدخول مرحلة الاستهلاك والسلع المستوردة، وهذا يعني أن ارتفاع معدلات العلمنة في المجتمع أدَّى إلى اكتساح القيم، والمطلقات كافة، ومعها المطلق الصهيوني نفسه، وسائر آليات ضبط النفس التي تتم في إطاره، وذلك قبل أن يضرب المجتمع بجذوره، وقبل أن يؤسِّس بنيته التحتية. ولذا، تزايدت معدلات الأمركة في المجتمع، وضُعفت مقدرة المستوطنين على تحمُّل المشاق. ومع تفجرُّ الانتفاضة تصاعدت حدة أزمة المجتمع الصهيوني.

لكل هذا تغيرت الأنماط الإدراكية في المجتمع، فتراجع نموذج «الكيبوتسنيك» (عضو الكيبوتس)، وظهر نموذج «روش قطان»، أي المواطن ذو الرأس الصغير

والمعدة الكبيرة .

ونظرًا للتوجه نحو اللذة في التجمع الصهيوني نجد أن المفهوم القديم للمستوطن الصهيوني ؛ باعتباره رائدًا يمسك المحراث بيد والبندقية بالأخرى – قد تآكل ، وظهر نوع جديد من المستوطنين الذين يبحثون عن الحراك الاجتماعي ، وعن رفع مستوى معيشتهم . ولذا يُلاحظ أن المستوطنات الجديدة في الضفة الغربية مختلفة عن المستوطنات القديمة ، فلا يوجد فيها أي مظهر من مظاهر التقشف وإنما توجد فيها منازل فاخرة وحمامات سباحة وكل أشكال الرفاهية . والدعوة إلى الاستيطان فيها لا تأخذ شكل شعارات دينية أو حتى شبه دينية ولا أيديولوجية (أو حتى شبه أيديولوجية) ، وإنما هي دعوة سافرة للاستهلاك ، فإحدى الإعلانات تتحدث عن فيلا واسعة ، في موقع جميل ، بنصف ثمن الفيلات المماثلة داخل حدود ٦٧، ولكنها مع هذا تقع على بُعد ثلاثين دقيقة من وسط القدس ونتانيا وتل أبيب .

وهذه البيوت الاستيطانية الفارهة لا يقوم المستوطنون بحراستها ؛ إذ يتولَّى الجيش الإسرائيلي هذه المهمة بالنيابة عنهم . ولذا بدلًا من أن تكون المستوطنات هي المواقع العسكرية الأمامية للقوات الصهيوانية – أصبحت تشكل عبئًا عسكريًّا عليه . ولذا فقد أطلقنا على هذا النوع من الاستيطان « الاستيطان مكيف الهواء » ، وهو يعكس واقع الحياة في إسرائيل أكثر من الشعارات الصهيونية الكاذبة التي تطلقها أبواق الدعاية الصهيونية .

٢- لا شك في أن كون المجتمع الصهيوني مجتمع مهاجرين ، يعني أن هناك دائمًا جماعات بشرية جديدة تفد على المجتمع ، وتصعِّد من سعاره الاستهلاكي ،

كما حدث مع وصول المهاجرين السوفيت .

٣- مما يساعد على تفشي النزعة الاستهلاكية ظاهرة الأمركة ، والأمركة هي أسلوب حياة جوهره اتخاذه موقف براجماتي ينصرف عن الكليات والمبادئ ؛ ليركز على التفاصيل وحل المشاكل المباشرة ، ويعتمد العنف آلية أساسية من آليات حل الصراع ، ويركز على الفرد بالدرجة الأولى وتأكيد ضرورة الإشباع الفوري .

وعلاقة إسرائيل بالولايات المتحدة علاقة خاصة وعميقة . فكلاهما مجتمع استيطاني مبني على محو تاريخ الآخر وإبادته وطرده . وكلاهما يستند إلى أسطورة الاستيطان الغربية (صهيون الجديدة) . وإلى جانب هذه العلاقة الحضارية شبه الدينية ، توجد العلاقة السياسية العملية وهي أن الولايات المتحدة هي الراعي الإمبريالي للدولة الصهيونية الوظيفية التي تدعمه وتموله وتضمن بقاءه واستمراره ، وهي تضم أكبر تجمُّع يهودي في العالم (يفوق في حجمه التجمُّع الصهيوني نفسه) . وهي بغير شك علاقة تخلق تبادلًا اختياريًا وتربة خصبة للأمركة . هذا بطبيعة الحال إلى جانب الاتجاه العام في كل مجتمعات العالم نحو الأمركة مع تصاعد معدلات العلمنة وتفشي النسبية الأخلاقية . والأمركة تعني تآكل الجذور وتساقط الحدود الأمر الذي يصعِّد السعار الاستهلاكي .

٤- والأمركة مرتبطة تمام الارتباط بالعولمة التي لها نفس الأثر في التجمع الصهيوني ، فالإنسان الذي يفقد جذوره الإثنية والدينية يميل بشكل أكبر نحو الاستهلاك ؛ لأن استهلاك السلع يصبح السبيل إلى تحقيق الفردوس الأرضي . وفي إطار العولمة تصبح السلع العالمية (أي الأمريكية) هي رمز هذه الجنة الجديدة .

وهذه الظواهر موجودة في كل المجتمعات ، ولكن أثرها السلبي أعمق في

التجمع الصهيوني ؛ لأنه مجتمع يستند عقده الاجتماعي إلى أيديولوجية تشكل الهوية عصبها وعمودها الفقري .

٥- ويرتبط بكل هذا الاتجاه نحو الخصخصة ، فالخصخصة تعني أن نقطة البدء هي الفرد وليس المجتمع ، وأن المشروع الفردي يسبق المشروع القومي . ومثل هذا الموقف يزيد بغير شك حدة السعار الاستهلاكي . وللخصخصة أعمق الأثر في التجمع الصهيوني باعتباره تجمعًا استيطانيًا لا بد أن ينظم نفسه تنظيمًا جماعيًا ليضمن لنفسه البقاء والاستمرار أمام مقاومة أصحاب الأرض .

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUT DE RECHERCHES ET D'ETUDES ARABES
عضو اتحاد الجامعات العربية

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUTE OF ARAB RESEARCH & STUDIES
عضو اتحاد الجامعات العربية